الإسلام والخلافة

تأليف

الدكتور علي حسني الخربوطلي

الدكتور علي حسني الخربوطلي

الإسلام والخلافة

297.52
HAR.İ
006791K

الثمن : ٦٠٠ ق. ل.

الإسلام والخلافة

تأليف
الدكتور علي حسني الخربوطلي

دار بيروت للطباعة والنشر
بيروت ١٩٦٩

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

هذه هي دراسة علمية منهجية جديدة عن (الاسلام والخلافة) . ودراسة الخلافة تعتبر في مقدمة الدراسات الاسلامية والعربية . وقد كانت الخلافة دائماً هي محور التاريخ الاسلامي والعربي ، على مر العصور التاريخية المختلفة ، فقد شغلت الأفهام والأقلام ، واصبحت موضع اهتمام جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

كان العرب في العصر الجاهلي شعوباً وقبائل متفرقة ، لا تجمعها جامعة ، ولا تربطها وحدة ، في صراع ونزاع مستمرين ، مما أدى الى شقاق سياسي ، وقتال دموي ، واضطراب اجتماعي ، وتأخر حضاري . حتى ظهر الاسلام ، فكان ثورة شاملة نقلت العرب والعالم من ظلام البداوة والخلاف ، الى نهار مشرق منير ، تسطع فيه أنوار الايمان والحضارة والوحدة ، وكان ظهور الاسلام ايذاناً بمولد وحدة قومية وسياسية واجتماعية جديدة ، هي الدولة العربية الاسلامية ، التي خلقها الاسلام ، وقامت في المدينة المنورة بعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمين من مكة .

وضع الاسلام أسس هذه الدولة الجديدة ، وبثّ فيها من روحه ، وجعلها نموذجاً ومثلاً أعلى لكل دول العالم . والاسلام يهتم بالأسس العامة والقواعد الكلية ، والخطوط العريضة ، ويترك الجزئيات والتفاصيل للمسلمين يشكلونها ويطورونها تبعاً لمقتضيات حاجاتهم ، وحسب ظروف الزمان والمكان يستوحونها من هدى الله وسنّة رسوله ، فجعل الاسلام هذه الدولة تقوم على الشورى والحرية والاخاء والمساواة والعدل والمسئولية الانسانية ، ورسم الإسلام أيضاً علاقات الأفراد ببعضهم ، وعلاقة الفرد بالمجتمع ، والصلات بين الحاكم والمحكومين ، وعلاقة الدولة الاسلامية بسائر دول العالم .

لم ينص الاسلام على شكل الحكم بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وترك الأمر شورى بين المسلمين ، يختارون نظام الحكم الذي يناسب ظروفهم ، على أساس شريعة الله الغرّاء ، وسنّة الرسول الكريم . ثم كان ظهور نظام الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأصبح نظاماً جديداً فريداً ، لا نظير له في الدول السالفة للدولة الاسلامية ، أو المعاصرة لها . وفتح باب الاجتهاد فأصبحت الخلافة موضع بحث وجدل واجتهاد بين المسلمين جميعاً ، وظهرت آراء ونظريات عديدة حولها ، واختلفت الفرق والجماعات السياسية والدينية ، حول شكل الخلافة ، وطريقة اختيار الخليفة ، والبيت الذي يُختار منه . وأدى هذا كله الى ظهور اشكال ونماذج مختلفة من الخلافة .

فكانت مرحلة الخلفاء الراشدين ، فشهدت أربعة من أعظم الخلفاء المسلمين ، وصلوا الى قمة الرشد السياسي والاداري . ثم كانت مرحلة الخلافة الأموية ، حيث انحصرت الخلافة في البيت الأموي ، وأصبحت تتبع مبدأ الوراثة ، وانتقلت الى بلاد الشام ، واصطبغت بطابع يميزها عن خلافة الراشدين . ثم بدأت مرحلة جديدة طويلة من الخلافة ، هي مرحلة الخلافة العباسية التي عاشت أكثر من خمسة قرون ، وانحصرت الخلافة في البيت

العباسي ، وشهد العالم الاسلامي في عهدها حضارة زاهرة . ثم قامت الخلافة الفاطمية في المغرب ثم في مصر ، وهي خلافة علوية شيعية ، فكان عصرها من أزهى العصور الاسلامية . كما ظهرت في نفس الوقت الخلافة الأموية في بلاد الأندلس ، فأصبح في العالم الاسلامي ثلاث خلافات : الخلافة العباسية في المشرق ومركزها بغداد ، والخلافة الفاطمية في قلب العالم الاسلامي ومركزها القاهرة ، والخلافة الأموية في الجناح الغربي من هذا العالم الاسلامي ومركزها قرطبة . ثم غربت شمس الدولة العباسية في بغداد ، لتشرق مرة أخرى في القاهرة في عصر دولة المماليك ، وظلت تحمل لواء الزعامة الدينية حتى كان الفتح العثماني للعالم العربي ، فتم تنازل آخر الخلفاء العباسيين بالقاهرة عن الخلافة للسلطان العثماني سليم الأول ، وتوارث السلاطين العثمانيون الخلافة ، فأصبحوا سلاطين وخلفاء في نفس الوقت . وكانت الخلافة العثمانية تختلف في نظامها عن سائر نظم الخلافة السالفة اذ تولى الخلافة أتراك عثمانيون بينما كان قد أصبح تقليداً ثابتاً أن يكون الخليفة عربياً قرشياً . واستمرت الخلافة العثمانية الى سنة ١٩٢٤ حيث أعلن الغاءها مصطفى كمال اتاتورك بعد الغائه السلطنة العثمانية سنة ١٩١٨ وانشاء الجمهورية التركية ، فكان هذا آخر عهد العالم الاسلامي بالخلافة .

وهذا الكتاب هو في الحقيقة دراسة للدول الكبرى الزاهرة التي شهدها العالم الاسلامي منذ ظهور الاسلام الى أوائل القرن العشرين الميلادي ، ويجعل الكتاب (الخلافة) محوراً لهذه الدراسة ، فقد كانت الخلافة فعلاً هي النواة التي تكونت حولها هذه الدول المختلفة على مر العصور . وكانت الخلافة مسألة حيوية هامة ، وتقليداً ثابتاً ، ونظاماً ضرورياً ، في العالم الاسلامي طوال العصور التاريخية السالفة ، حتى اعتبر كثير من المسلمين ان سقوط الخلافة العباسية في بغداد على ايدي المغول هو نهاية هذا العالم .

يدرس الكتاب قيام الدولة العربية الاسلامية ، واثر الاسلام في وحدة

العرب القومية والسياسية والاجتماعية . ثم يتناول فلسفة الخلافة من جميع جوانبها ، ونظريات الأحزاب والفرق الاسلامية حولها . ثم يدرس فجر الخلافة ، ويتناول بالدراسة التفصيلية ، على أساس علمي منهجي ، مراحل الخلافة جميعها : خلافة الراشدين ، الخلافة الأموية بالشام ، الخلافة العباسية ، الخلافة الفاطمية ، الخلافة الأموية بالأندلس ، إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة ، الخلافة العثمانية . ويقدم الكتاب دراسة جديدة فريدة عن خلافة السلاطين العثمانيين ، وسقوط خلافتهم في مطلع القرن العشرين .

أرجو أن يجد كل باحث ، ومسلم ، وعربي ، وشرقي ، حاجته وبغيته في هذه الدراسة العلمية الجديدة . وأدعو الله عز وجل أن أكون قد ساهمت في رسم صورة مشرقة لحياة الآباء والأجداد ، وان يكون التوفيق قد حالفني فيما أقدمت عليه ، وقصدت اليه ، وهو خدمة الدراسات الاسلامية ، والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدكتور علي حسني الخربوطلي

١ . قيـــام الدولة الاسلامية

الحياة السياسية قبل الاسلام :

كانت الجزيرة العربية قبل الاسلام لا يضمها دولة عربية واحـدة ، وظهرت ثلاثة أشكال للحياة السياسية ، أولها حياة الدولة كوحدة سياسية في بلاد اليمن ، والشكل الثاني المدينة كوحدة سياسية في اقليم الحجاز فظهرت عدة مدن كبرى مثل مكة ويثرب والطائف ، والشكل الثالث القبيلة كوحدة سياسية واجتماعية معاً في الصحاري والبوادي ، وهـذه الأشكال الثلاثة حتّمتها الطبيعة والبيئة والظروف الجغرافية .

وكان لحرمان بلاد العرب من حكومة مركزية أكبر الأثر في حياتها الاجتماعية . فالحكومة تدعم المجتمع وتعزز جانب النظام والقانون . ولم يكن هناك أي منهج للادارة أو القضاء أو الاجتماع ، مما نلمسه في دول القرن العشرين . وكانت الدول أو المدن المتناثرة في الجزيرة العربية ، أضعف من أن توجد وحدة سياسية موحدة القوانين ، وانتشرت في الصحراء قبائل كثيرة تؤلف كل منها وحدة سياسية منفصلة مستقلة ، ومجتمعاً صغيراً ، لكل قبيلة زعيم من أبنائها ، يقودها في قتالها للقبائل الأخرى ، وكان هذا الزعيم مستقلاً تماماً لا يدين بولاء أو طاعة لأية سلطة مركزية ، بل كان كل فرد في هذا المجتمع يحاول أن يكون له شخصية مستقلة ، فهو لا يعتـبر زعامة شيخ قبيلته أو سلطته إلا رمزاً لفكرة عامة شاءت الظروف